الدكتور محمد يعلـى

أستاذ التعليم العالي لتاريخ الغرب الإسلامي الوسيط
وتحقيق نصوصه المخطوطة المغربية والأندلسية
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
المحمدية

مساهمة في دراسة البنية المعرفية الأفقية للمخطوطات العربية المغربية والأندلسية : نموذج المجموع المخطوط ك 1275

2003

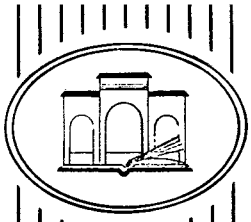

بحوث

مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية

المحمدية

جامعة الحسن الثاني ـ المحمدية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المحمدية

العدد الحادي عشر 2003

مساهمة في دراسة البنية المعرفية الأفقية للمخطوطات العربية المغربية الأندلسية :

نموذج المجموع المخطوط ك 1275

محمد يعلى(*)

يتعلق هذا العمل بمحاولة إعادة شكل البناء المعرفي للمخطوطات المتجانسة تقريبا في مواضعها، أي إنجاز دراسة تحليلية، مصنفة تركيبية وأفقية، للمضامين المشتركة بين ثلاثة مخطوطات، تضمها الخزانة العامة بالرباط في مجموع، يحمل اسم «كتاب الأنساب لأبي حيان»، وهو محفوظ تحت رقم ك 1275. وعناوينها كما قرئت في أطروحتنا[1] هي: «كتاب الأنساب» لابن عبد الحليم (ق. 14/8)، «كتاب مفاخر البربر» لمؤلف مجهول (ق. 14/8)، و«كتاب شواهد الجلة» لجامعه أبي بكر ابن العربي (ت. 1159/543).

رغم ما يلاحظه الباحث من مفارقة زمنية ما بين تأليف هذه الكتب، حيث صنف الأخير منها في القرن 11/5 (عصر المرابطين)، وينتسب الثاني والثالث إلى القرن 14/8 (عصر المرينيين)، فمضامينها جميعا تصب على العموم في مجرى قضية تاريخية واحدة، مسرحها الغرب الإسلامي، وزمنها العصر الوسيط، والقضية تخص من ناحية، تاريخ الأمازيغيين (البربر) وأصولهم وحضارتهم، وتمس من ناحية أخرى ذلك التفاعل الذي حصل، خلال التاريخ الوسيط للغرب الإسلامي، ما بين الأمازيغيين والأندلسيين من جهة، وفيما بين الأمازيغيين أنفسهم من جهة أخرى.

(*) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية.

(1) صدرت الأطروحة ضمن سلسلة «**المصادر الأندلسية**»، عدد 20، تحت عنوان : ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي : **كتاب الأنساب** لابن عبد الحليم، **كتاب مفاخر البربر** لمؤلف مجهول، **كتاب شواهد الجلة** لأبي بكر ابن العربي، دراسة وتحقيق محمد يعلى، نشر المجلس الأعلى للأبحاث العلمية والوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996.

لقد ظل هذا المجموع المخطوط قرونا منسيا إلى مطلع العقد الرابع من القرن العشرين، حين رأى النور على يد الأستاذ إ. ليفي – بروفنصال (E. Levi-Provençal) الذي نشر عددا من قطعه[2]، ثم حظي بعد ذلك باهتمام الباحثين من خارج المغرب وداخله[3]. ونظرا لأهميته فقد غدت بعض كتبه في نظر الباحثين حلقة أساسية ضمن سلسلة البيبليوغرافيا الوسيطية للغرب الإسلامي، تشكل مصدرا تاريخيا ونسبيا يجب تقديمه عن أعمال ابن عذاري وابن خلدون عند البحث في تاريخ شمال

---

(2) نشر قطعة أولى كبيرة بعنوان : «**نبذ تأريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى**، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، لمؤرخ مجهول الإسم، سنة 712هـ»، المطبعة الجديدة، الرباط، 1352/1934. وقطعة ثانية نشرها مترجمة إلى اللغة الفرنسية مع مقدمة تحت عنوان:
"Un nouveau récit de la conquête de l'Afrique du Nord par les Arabes", Arabica, 1(1954), pp. 17-43.
وقام الأستاذ حسين مؤنس بنشر نصها العربي الأصلي مع تعليقه الخاص تحت عنوان : «**نص جديد عن فتح العرب للمغرب**»، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية** في مدريد، المجلد الثاني (1372/1954)، العدد 1 - 2، صفحات 193 - 239؛ نشر ليفي - بروفنصال، قطعة ثالثة بعنوان :
"Le titre souverain des Almoravides et sa législation par le Califa abbasside", Arabica, II (1955), pp. 265-280.

(3) اهتم الباحثون بعد ليفي - بروفنصال بهذا المجموع المخطوط أو بنسخته الثانية التي أشرنا إلى مرجعها في كتابنا أعلاه، انحصر عملهم، من جهة أولى، عند نشر قطع منه بنصها العربي الأصلي، ونقل بعضها إلى اللغة الإسبانية،واعتمدوه، من جهة ثانية، كمصدر لتحقيق نصوص أخرى أو لنشر أبحاثهم. واقتصر هنا فقط على ذكر من أخرج منه قطعا، على سبيل المثال لا الحصر، مع العلم أننا قد نشرنا تفاصيل هذا الموضوع في كتابنا الآنف الذكر؛ ألحق الأستاذ محمد عبد الله عنان «**رسالة الإمام الغزالي إلى الأمير يوسف بن تاشفين**» بكتاب : **دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، المجلد الثالث، القسم الأول، القاهرة، 1964، صفحات 530 - 533؛ نشر الأستاذ عبد الوهاب بن منصور وثيقتين في مجلة الوثائق، مجلد 1 (1976)، الرباط، صفحات 204 - 219 ؛ نقلت الأستاذة Maria Jesus Viguera إلى اللغة الإسبانية أربعة رسائل في مقالها تحت عنوان :
"Las cartas de al-Gazālī y al-Turtūšī al soberano almoravid Yusuf b. Tašufīn", Al Andalus, vol. XLII (1977), fasc. 2, pp. 341 - 374.
نشرت الأستاذة عصمت دندش أربع رسائل بنصها العربي الأصلي تحت عنوان : «دراسة حول رسائل ابن العربي والتي تسمى برحلة أبي بكر ابن العربي»، **المناهل**، 9، (1397/1977)، صفحات 149 - 191، ثم أعادت نشرها ملحقة بكتابها : «**دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**»، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1408/1988، صفحات 182 - 224؛ ونشر الأستاذ أحمد مختار العبادي ثلاث رسائل تحت عنوان «**الضمائم**» ملحقة بكتابه : «**دراسة في تاريخ المغرب والأندلس**»، الإسكندرية 1982، صفحات 471 - 484.

إفريقيا، عن موضوع الفتح الإسلامي وأصول الأمازيغيين وأنسابهم، كما نعتبره بالإضافة إلى ذلك منجما تاريخيا غنيا بمضامين ضاعت بعض مصادرها، تخص العلاقات الوسيطية بين المغاربة والأندلسيين.

ولا أعلم أن في المهتمين بهذا المجموع المخطوط من أنجز عملا تركيبيا مماثلا لما نحن بصدد تقديمه الآن[4]، مما يجعل هذا العمل، بالنسبة لمخطوطنا، فريدا في بابه، وذا فائدة علمية للجميع، لأنه يقدم للدارسين والباحثين، من جهة، إحاطة معرفية مصنفة وشاملة للكتب الثلاثة المذكورة، ويساعدهم من جهة أخرى، على المناولة المباشرة والآنية للمواد التاريخية المحللة والجاهزة للتوظيف والاستثمار من طرفهم، كل فريق منهم في دائرة اختصاصه، دون ضياع وقته في التفتيش عما يهمه منها داخل شعاب أقسام هذه المخطوطات، مما قد يسهل مهمة المؤرخ والنسابة والتراجمي والجغرافي والأديب.

حاولنا في إعداد هذا العمل أن نعرض للمضامين التي يحتويها هذا المجموع ضمن هيكل معين، يخضع لتبويب خاص، صنفنا عناصره الكبرى على أساس الموضوعات دون اعتبار تسلسلها تبعا لترتيب الأوراق في الأصل المخطوط. ويتألف كل عنصر في هذا التصميم المقترح من المواد المشتركة المتناثرة داخل واحد أو أكثر من الأقسام الثلاثة المكونة للمجموع المخطوط، وقد أسفر هذا العمل عن معالجة المحاور الآتية :

1 ـ الجغرافيـــــة :

عرض المجموع مادة جغرافية على جانب كبير من الأهمية والتنوع، يمكن تصنيفها إلى جغرافية طبيعية، وجغرافية بشرية حضرية، ونشاط اقتصادي.

أ ـ جغرافية طبيعية : تناول المخطوط منها عدة مواضيع كما يلي :

– خلق الأرض ووضعها، وشكلها العام، وتضاريسها، ومختلف ما قيل حول ذلك من نظريات[5].

---

(4) انفردت الأستاذة Maya Shatzmiller من بين الباحثين ـ حسب علمنا ـ بتقديم المحتوى الإجمالي لمخطوطنا، وذلك بسرد مواده متسلسلة كما وردت في الأصل، وفق ترتيب أوراقه، ونشرته تحت عنوان :

"Une source méconnue de l'histoire des Berbères : *Le Kitab : al Ansab li - Abi Hayyan*", Arabica, 30 (1983), fasc. 1, pp. 73 - 79.

(5) انظر المجموع المخطوط ك 1275، الورقتان 46، 49.

– ذكر أسماء ومواقع بعض المرتفعات الأولى للأرض ـ مثل جبال قبيس، ثور، وتبين ـ والأنهار الكبرى : كالنيل والفرات[6].

– انقسام بنية الأرض إلى سبع طبقات، ذكر منها ستا، وتحتوي كل واحدة منها على عناصر طبيعية، وكائنات حية تنتمي إلى عالم «جهنم»[7].

– أشار إلى معلومات مقتضبة عما نسميه اليوم بدورة الأرض حول نفسها وحول الشمس[8]، واختلاف طول الليل والنهار[9]. لكنه أسهب فيما يخص أبعاد الأرض، وكيفية قياسها، وشبكة خطوط الطول والعرض، وعدد درجات كل واحدة منها[10]. وطريقة تحديد اتجاه «القبلة» لإقامة الصلاة وعند بناء المساجد، بواسطة الشمس نهارا، والنجوم ليلا[11].

– تقسيم المعمور إلى سبعة أقاليم مع توزيعها، وتقدير المسافة لكل واحد منها، مع تقديم رسم كروي للأرض، يبين موطن تلك الأقاليم، بالإضافة إلى موقع الأبراج الإثنى عشر، وأسماء الجهات الأربع للأرض[12].

– عرض مفهوما وسيطيا للمغرب، حدد فضاءه بين مصر والسوس الأقصى، ووصفه بجزيرة تحيط بها البحار من كل جهة، لأن المسلمين كانوا يعتبرون صحراء شمال إفريقيا بحرا من الرمال. وقسمه إلى ثلاثة أقطار : المغرب «الفوقي» ويشمل مصر والقيروان ـ أي إفريقية ـ، والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى[13].

ب ـ جغرافية بشرية وحضرية :

– تعمير الأرض : لخص مخطوطنا المعلومات المتعلقة بالسكان الأولين للأرض في رأيين : الأول يذهب إلى أن «الجن» هم أول من سكن الأرض. والرأي الثاني

(6) نفس المصدر، 45 ـ 47.
(7) نفس المصدر، 48.
(8) نفس المصدر، 49، 112.
(9) المصدر السابق.
(10) نفس المصدر، 49 ـ 50، 51.
(11) نفس المصدر، 51، 64.
(12) نفس المصدر، 47، 51.
(13) نفس المصدر، 2، 3، 16، 17، 107.

يقول: إن أول من سكنها : «مؤمنان وكافران». ويذكر بأن السكان يتركزون في «وجه الأرض الأعلى»[14] ـ يقصد شمالها ـ الذي يشكل ربعها المنحصر عرضا : بين شرقها وغربها، وطولا : بين القطب ومدار السرطان[15]. ثم أشار إلى أن هذا الجزء المعمور من الأرض ينقسم تبعا لتوزيع ذرية نوح النبي ـ عليه السلام ـ إلى ثلاث مناطق مختلفة :

- منطقة السند والهند : سكنها أبناء حام بن نوح.
- منطقة الصين : سكنها أبناء يافث بن نوح.
- منطقة بلاد العرب والروم : سكنها أبناء سام بن نوح[16].

– تعمير شمال إفريقيا بالأمازيغيين الأولين : تناول المخطوط هذه المعضلة في عدة إشارات تنطلق أغلبها من النظرية التي تقول : إن أبناء نوح الثلاثة المذكورين قد استقروا بعد وفاة والدهم بناحية «الجودي»، وأن حام أب الأمازيغيين الذين تكاثروا وتنقلوا. وساق عدة نظريات مفادها أن الشعوب الأمازيغية قد عمرت المغرب ما بين مصر وطنجة عقب هجرة موجات بشرية قديمة، انطلقت إليه من المشرق[17] كما أشار إلى بعض الجماعات الأمازيغية والمواضع الحضرية بالمغرب الإسلامي[18].

ج ـ إشارات اقتصادية :

يتضمن المخطوط إشارات نادرة جدا حول النشاط الاقتصادي للأمازيغيين، لكنها لا تخلو من فائدة. فقد أشار إلى أن عمل الأمازيغيين البدويين بالمغرب قام على نشاط الترحل بين الجبال والصحراء[19]. وأن عملة المرابطين من الفضة والذهب كانت في عهد يوسف بن تاشفين سليمة[20] كما أن بلاد غانة كانت مصدر الذهب[21].

---

(14) نفس المصدر، 48.
(15) نفس المصدر، 50.
(16) نفس المصدر، 46.
(17) نفس المصدر، 2، 7، 8، 9، 15، 16، 17، 18، 20، 22، 71، 77، 82، 83، 107.
(18) نفس المصدر، 17، 18، 19، 22، 29، 83، 86، 90، 109، 110.
(19) نفس المصدر، 47.
(20) نفس المصدر، 12.
(21) نفس الصدر السابق.

وقدر عدد معادن الأرض بسبعمائة نوع[22]. وأن النبي دانيال هو الذي عرف الفلاحة بالمحراث الخشبي وسكة حديد[23].

2 ـ التاريخ السياسي :

يطغى موضوع التاريخ على مادة المجموع رغم اختلاف الشكل الذي تصاغ فيه. فأي تاريخ يقدمه مخطوطنا؟ إن مادة التاريخ التي يعرضها هي في صلبها عبارة عن أخبار تبرز نبل أرومة الأمازيغيين وفضائلهم وأمجادهم، وتتناول تطور مراحل تاريخهم السياسي والاجتماعي ضمن الحقبة الإسلامية على العموم، بالغرب الإسلامي، سواء كانوا سادة أو تابعين. ويمكن تصنيف الأخبار التي تضمنها المجموع إلى حقبتين :

أ ـ حقبة ما قبل العصر الوسيط :

هي أكثر الحقب التاريخية غموضا وشحا في أخبارها. يزودنا المخطوط عنها بمعلومات تتعلق بالأصل المشرقي العرقي والجغرافي للأمازيغيين، وبالدوافع التي حملتهم على الهجرة من المشرق نحو المغرب[24].

ب ـ حقبة العصر الوسيط :

– فترة الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا : أشار المخطوط إلى أن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب قد منع فتح إفريقية[25]، وإلى تردد الخليفة الثالث عثمان بن عفان قبل أن يأمر بالفتح الذي انطلق سنة 654/24، بقيادة عبد الله بن سعد. وأن الوفود الأمازيغية التي تقاطرت على الجزيرة العربية إبان عهد النبي محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم خليفتيه عمر وعثمان، وكان فيها من ينتمي إلى المصامدة وزناتة، رحلت إليهم رغبة في الإسلام[26].

خصص أبوابا تتضمن معلومات مفصلة عن الفتوحات العربية الإسلامية في بلاد الأمازيغيين بشمال إفريقيا. لكن الفتوحات التي انطلقت من إفريقية،

---

(22) نفس المصدر، 111.

(23) نفس المصدر، 47.

(24) نفس المصدر، 11 ـ 18، 110، 111.

(25) نفس المصدر، 36.

(26) نفس المصدر، 32، 34، 35، 37، 104.

واكتسحت المغرب الأوسط، ثم المغرب الأقصى خلال فترة زمنية طويلة نسبيا بدأت عموما، وكما ورد في المخطوط سنة 645/24، وانتهت عام 708/89، وغطت عهد الخليفة عثمان، ثم توقفت العمليات إبان «الفتنة» في المشرق، لتستأنف بعد ظهور الدولة الأموية، على عهد مؤسسها معاوية بن أبي سفيان، ثم استمرت زمن أحفاده من بعده : يزيد ومروان وعبد الملك والوليد. وسلط الأضواء على أبطال هذه الفتوحات الإسلامية في الجانب العربي والبيزنطي والأمازيغي مثل عبد الله بن سعد وعبد الله بن الزبير وعقبة بن نافع وابن أبي المهاجر وزهير البلوي وحسان بن النعمان وموسى بن نصير وجرجير وكسيلة بن لمزم والكاهنة داهية ويوليان حاكم طنجة، مشيرا إلى ما استعملوه من خطط عسكرية، وما حصل لدى الأطراف الفاتحة والمقاومة من انتصارات وهزائم، وتقدم وتراجع، وما تكبدوه من تضحيات مادية وبشرية. وما غنمه رؤساء الجيوش العربية الفاتحة، وما كانوا يرسلونه من أموال الأمازيغيين، ومن السبي من نسائهم وبناتهم إلى الخلفاء العرب المسلمين بالمشرق. وما تميز به الفتح الإسلامي من تسامح خلال وبعد خضوع شمال إفريقيا واعتناق الأمازيغيين للإسلام. كما لم تفته الإشارة إلى خبر فتح الأندلس[27].

– فترة تمتد من القرن الثاني / الثامن إلى القرن الرابع / العاشر : جمع مخطوطنا عن تاريخ خضوع الأمازيغيين ـ إن كثيرا أو قليلا ـ للحكام العرب، سواء كانوا في المشرق أو في المغرب أو في الأندلس. أقول : جمع أخبارا في غاية الأهمية لانتمائها إلى فترة تميزت فعلا بتطورات عميقة وحاسمة، في كل قطر مسلم من بلاد الأمازيغيين المسلمة، وعلى المستويات السياسية والدينية والمذهبية.

حينما أشار إلى الثورات التي تزعمها الأمازيغيون في إطار مذهب «الخوارج» ضد ولاة الخلافة الأموية ثم العباسية، للاستقلال عن الحكم العربي المباشر، ذكر الثورات التي قادها في بلاد المغرب كل من ميسرة المطغري ببلاد أغمات المصمودية سنة 739/122، وصالح بن طريف مؤسس إمارة برغواطة وواضع ديانتها الإسلامية المنحرفة سنة 744/127، وأبي قرة المغيلي بتلمسان عام 746/129، معلنا نفسه خليفة، وأبو حاتم يعقوب بن لبيب المغيلي سنة 767/150 بإفريقية، وموسى بن أبي العافية الزناتي بتازة ضد الشيعة والأدارسة، وأبو زيد مخلد بن كيدان اليفرني سنة 943/332 ثار على الشيعة الفاطميين بإفريقية، ومهدي بن توالى بفازازا، وتميم بن زيري اليفرني

(27) نفس المصدر، 38 - 45، 109 - 110.

بسلا، ثار قبيل ظهور المرابطين[28]. وقد نجح بعض الثوار في تأسيس إمارات مستقلة وقارة، منها ما ظهر في المغرب الأقصى وحكمها إما أمازيغيون : كإمارة برغواطة المصمودية بتامسنا[29]، وإمارة الخوارج «الصفرية» لبني مدرار بسجلماسة[30] مشيرا إلى وجودها في القرن الرابع / العاشر. وإما حكمها مشارقة لجؤوا إلى المغرب، كإدريس الأول الذي أسس الدولة الإدريسية بوليلي سنة 788/172. هذه الدولة التي عرفت - كما يشير المجموع - تدهورا سريعا خلال العقد الثاني للقرن الثالث / التاسع[31] وعبد الرحمان بن رستم الذي أسس، بتأييد من زناتة المغرب الأوسط سنة 761/144، إمارة الخوارج الإباضية بتاهرت[32].

أشار إلى أن القرن الرابع / العاشر عرف صراعا عنيفا بين خلافتين عربيتين في بلاد الغرب الإسلامي هما : الخلافة الفاطمية، التي أسسها في إفريقية شريف عربي شيعي، لاجئ من المشرق، والخلافة الأموية بالأندلس، التي بناها أيضا لاجئ آخر من بقايا الأسرة الأموية العربية السنية. وقد جمع مخطوطنا حول هذا الموضوع مادة تاريخية غزيرة، تناول فيها الحروب التي دارت على مسرح المغربين الأوسط والأقصى، بين الفاطميين وحلفائهم الصنهاجيين من جهة، والأمويين وحلفائهم الزناتيين من جهة أخرى. وذكر ما خلفه صراعهما الطويل من حالة عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي في جميع أقطار المغرب، حيث وضعت كل خلافة الإمارات الأمازيغية المنفصلة تحت نفوذها. وساهمت تدخلاتها العسكرية في تعميق الخلافات وإذكاء نار الفتنة بين شعوب الأمازيغيين وبين قبائلهم الكبرى[33]. وألقى الضوء على خطة التدخل السياسي والعسكري التي نهجتها كل من القيروان وقرطبة للسيطرة على بلاد المغرب، وخصوصا المغرب الأقصى. فرغم رحيل مقر الخلافة الفاطمية إلى مصر، واصل نائبها الصنهاجي بلقين بن زيري سياستهم. وبالنسبة للأمويين، الذين بسطوا نفوذهم على المغرب الأقصى ونافسوا الفاطميين في المغرب الأوسط، لم تمنع وفاة الخليفة الحكم استمرار حكم الأمويين وتدخلهم في المغرب على يد الحاجب

(28) نفس المصدر، 84، 85.

(29) نفس المصدر، 66، 78.

(30) نفس المصدر، 66، 67، 85.

(31) نفس المصدر، 59، 113 - 114.

(32) نفس المصدر، 83 - 84.

(33) نفس المصدر، 59 - 61.

المستبد محمد بن أبي عامر وأبنائه من بعده[34] باستعمال سياسة البطش والدهاء، بما في ذلك فرض الإقامة الإجبارية على زعماء الأمازيغيين المعارضين وأسرهم بالأندلس ثم نفيهم منها حينما تختفي الرغبة فيهم.

أشار أيضا إلى أن السياسة المذكورة التي اتبعها حكام إفريقية والأندلس في المغربين الأقصى والأوسط، خلقت لدى الزعماء المغاربة ردود فعل اختلفت بين التبعية تارة، والانفصال تارة أخرى. وذكر في هذا الصدد بعض حركات المقاومة المعروفة، التي قادها من كانوا ينوبون عن قرطبة من المغاربة في حكم المغرب. مثل حسن بن قنون الإدريسي. والزناتيين : زيري بن عطية، ويدو بن يعلى، وأبو البهار الصنهاجي[35].

– فترة السيادة الأمازيغية في الغرب الإسلامي من القرن الخامس / الحادي عشر إلى القرن السابع / الثالث عشر :

لا نجد في المجموع من العوامل التي جعلت الأمازيغيين بالمغرب، يخرجون من طور التبعية السياسية إلى طور الاستقلال والسيادة، سوى بعض الإشارات الخاصة بتخفيف الضغوط الفاطمية والأموية نسبيا، في وقت ما من القرن الرابع / العاشر، وتتعلق ـ كما ذكر ـ بتحول مركز الخلافة الفاطمية إلى مصر، واحتدام النزاع الداخلي على الحكم بين نوابهم الزيريين في إفريقية من ناحية، ومرض الخليفة الأموي الحكم، وتصعيد نشاط حركة «الاسترداد» وزيادة ضغوطها العسكرية على حدود الأندلس[36].

يسوق أخبارا عن محنة الأمازيغيين الأندلسيين نتيجة انفجار «الفتنة» التي اتهموا بإشعال فتيلها من طرف الأندلسيين العرب. فيذكر الحرب التي اندلعت منذ سنة 1008/399 بين اثنين من أبناء الأسرة الأموية الحاكمة بسبب تنازعهما على كرسي الخلافة، هما : محمد المهدي وحلفاؤه من النصارى الإسبان من جهة، ومنافسه سليمان المستعين، وأكثر أنصاره من الأمازيغيين الأندلسيين من جهة أخرى. وبعد هزيمة سليمان، يشير المخطوط إلى أن المهدي وحلفاءه المذكورين، تتبعوا فلول

(34) نفس المصدر، 64، 66، 67، 68، 69، 71، 74.

(35) نفس المصدر، 62، 81.

(36) نفس المصدر، 65، 66.

الأمازيغيين الفارين بأسرهم نحو الجنوب وحاصروهم في وادي «آره». ووصف المعركة الحاسمة التي دارت رحاها في عين المكان، وأسفرت عن هزيمة ساحقة للمهدي وحلفائه[37].

ويروي أخبارا تتعلق بمعركة أخرى، دارت هذه المرة سنة 1018/409، بعدما شن الخليفة الأموي لشرق الأندلس ـ عبد الرحمن، الملقب أيضا بالمهدي المرتضى ـ هجوما على زاوي بن زيري الصنهاجي ملك إمارة غرناطة. ويصف المخطوط هذا الأخير بالقائد المحنك، الذي انتصر في المعركة، وقتل الخليفة المذكور. ويذكر آثارها السياسية والاجتماعية والأدبية في الأندلس[38].

خصص فصلا للثورات الأمازيغية التي عرفتها الأندلس، منذ بداية القرن الخامس / الحادي عشر، عقب انحلال نظام الحكم المركزي لدولة الخلافة الأموية. بزعامة الأمازيغيين الأندلسيين، الذين فيهم من أسس ـ كغيره من ملوك الطوائف ـ إمارات مستقلة في مستهل القرن الخامس / الحادي عشر عن النظام المركزي، مثل ثورات كل من إسماعيل بن ذي النون، مؤسس إمارة طليطلة سنة 1018/409. وزاوي ابن زيري، صاحب إمارة غرناطة. ومحمد بن عبد الله البرزالي، مؤسس إمارة قرمونة، وأبي نور (هلال) بن أبي قرة اليفرني الزناتي، مؤسس إمارة ضمت رندة ومدنا أخرى[39].

أولى المجموع اهتماما متميزا عندما تناول أخبار المغرب الأقصى على امتداد القرون الثلاثة المذكورة، التي أحدث الأمازيغيون خلالها تحولا حاسما، غير مجرى التاريخ السياسي والاجتماعي للغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأقصى خاصة، تجلى في ظهور دولتين مركزيتين كبيرتين أمازيغيتين، أقام الأولى المرابطون المنتمون إلى قبائل «صنهاجة الجنوب» (الصحراء) وهي، كما يذكر مخطوطنا، غير قبائل «صنهاجة الشمال» التي كان منها أمراء غرناطة بالأندلس[40]. وكون الدولة الكبرى الثانية الموحدون من مصامدة جبال الأطلس.

---

(37) نفس المصدر، 156، 157، 158 ـ 159.

(38) نفس المصدر، 153، 154، 155.

(39) نفس المصدر، 81 ـ 83.

(40) نفس المصدر، 86، 90.

تتبع مخطوطنا المسيرة العامة للدولة المرابطية منذ تأسيسها في النصف الثاني للقرن الخامس / الحادي عشر إلى سقوطها في مستهل الثلث الثاني للقرن السادس / الثاني عشر. وروى أخبارا عن فترة تكوينها في الجنوب على يد الفقيه عبد الله بن ياسين[41]، وعن مرحلة توحيد المغرب الأقصى بقيادة يوسف بن تاشفين حيث ذكر نجاحه في الحروب التي قادها لوضع نهاية لجميع الإمارات الأمازيغية الجهوية المستقلة، كإمارة بني توالى بفازار، وإمارة القاسم بن أبي العافية في تازة، وإمارة برغواطة، وضمه لسبتة وطنجة آخر معاقلها بمساعدة أسطول ابن عباد ملك إمارة إشبيلية[42].

ينقلنا إلى الأندلس التي دخلت مرحلة الضعف، بعدما زال نظام الخلافة، وتوزع إرثها بين «ملوك الطوائف» الضعفاء الذين يقول مخطوطنا إنهم استنجدوا بيوسف بن تاشفين الذي لبى النداء، وأنقذهم من خطر الوقوع في قبضة «حركة الاسترداد». لكن خوفهم من أطماع يوسف، وتحالفهم مع المسيحيين ضده، عجل بتدخله العسكري لإنقاذ الأندلس الإسلامية بضمها إلى المغرب الأقصى. وهنا تظهر إشكالية معارضة الأندلسيين بحجة أن تدخله وحكمه للأندلس كأمير أمازيغي مسلم، يفتقر إلى المشروعية، لذا طالبوه بتقليد شرعي من الخليفة العباسي، يبرر تدخله وحكمه. فأحضره لهم يوسف، ويقدم المخطوط في موضوع هذه الإشكالية عددا من الوثائق تصف شخصية يوسف بن تاشفين بولائه للعباسيين، وبالأمير المسلم المثالي، وتكشف عن علاقة دولة المرابطين السنيين عامة، ويوسف بن تاشفين خاصة، بالخلافة العباسية في عهد الخليفة المستظهر، وبكبار الفقهاء المسلمين السنيين بالمشرق كالغزالي والطرطوشي[43]. وأشار إلى عهد علي بن يوسف بن تاشفين ثم إلى فترة ضعف الدولة المرابطية وزوالها في عهد ابنه تاشفين سنة 1145/439[44]. وختم تاريخ المرابطين بسرد لوائح بأسماء ولاتهم في الأندلس على كل من قرطبة وإشبيلية وغرناطة ومرسية وبلنسية وسرقسطة[45]، مما يعطي فكرة عامة عن الإدارة المرابطية الإقليمية بالأندلس.

(41) نفس المصدر، 87.

(42) نفس المصدر، 88، 89.

(43) نفس المصدر، 121 - 148.

(44) نفس المصدر، 9.

(45) نفس المصدر، 108 ، 109.

وكما لاحظنا في تأريخه للمرابطين، اهتم مخطوطنا، عند تناوله للدولة الموحدية، بفترة التأسيس أكثر من غيرها، حيث ركز أخباره على شخصيتين بارزتين خلال تلك الفترة، وهما : محمد بن تومرت وعبد المومن بن علي. فبعدما حدد العمر الطويل لهذه الدولة في أكثر من قرن ونصف - وهو ضعف ما عمرته الدولة المرابطية -[46] بدأ ظهورها سنة 1122/516، وانتهى وجودها سنة 1269/668[47]، قدم بيبليوغرافيا مفيدة للمهتمين بدراسة تاريخ هذه الدولة. منها ما وصلنا، كقطعة «نظم الجمان» لابن القطان. ومنها مازال في حكم المفقود ككتاب «المغرب في أخبار المغرب» لأبي التقي طاهر بن عبد الرحمان[48]. ثم خصص حيزا واسعا لأخبار المهدي بن تومرت، وعبد المومن بن علي الخليفة الأول للدولة الموحدية، وهما الشخصيتان البارزتان في مرحلة تأسيس الدولة.

تناول المخطوط شخصية ابن تومرت، فذكر عمره ونسبه الشريف المختلف فيه، ورحلته الدراسية إلى المشرق، وبداية حركته السياسية والدينية بعد عودته إلى المغرب الأقصى، للإطاحة بالنظام المرابطي، من قاعدته بتنمل في جبال الأطلس الكبير[49]، حيث ثار انطلاقا من إيديولوجيته القائمة على المهدوية، ليملأ الأرض قسطا وعدلا[50] كما ملئت ظلما وجورا. وأورد عدة روايات حول تاريخ المهدوية في المشرق والمغرب، إلى عهد مهدي الموحدين[51]، والأحاديث الواردة بسندها في وصف المهدي، والظروف المواتية لظهوره مع تقديم شرح لبعضها من طرف كبار المفسرين. ثم كتب تعليقا عليها[52]، يهدف إلى تعميق فكرة المهدوية بين الناس، وطرح مبرر منطقي وشرعي على صحة تلك الأحاديث.

اهتم مخطوطنا بشخصية عبد المومن، خليفة ابن تومرت، وبنشاطه العسكري والسياسي. أورد فيما يخص النقطة الأولى أن نسبه ينتهي إلى قيس عيلان بن مضر

---

(46) نفس المصدر، 119.
(47) المصدر السابق.
(48) نفس المصدر، 112 - 113، 117، 119.
(49) نفس المصدر، 113، 117.
(50) نفس المصدر، 112، 116.
(51) نفس المصدر، 117.
(52) نفس المصدر، 114 - 116.

تبعا لرأي المؤرخين الرسميين، مع إشارته إلى وجود خلاف في هذا النسب[53]. ثم تطرق إلى النقطة الثانية، فأشار إلى فتحه لمدينة مراكش ولباقي حواضر المغرب الأقصى: كسلا ومكناس وفاس وسبتة. إلى أن شملت دولة الموحدين الأندلس[54].

أشار إلى لائحة رتب فيها أسماء وألقاب جميع خلفاء الدولة خلال القرنين السادس / الثاني عشر، والسابع / الثالث عشر، مشيرا إلى تاريخ بداية حكم كل واحد منهم ونهايته، ابتداء من الخليفة عبد المومن إلى أبي العلى الواثق[55].

اقتصرت الأخبار التي ساقها عن الأندلس، في هذا القرن السادس / الثاني عشر، على وصف الحالة الداخلية لإمارة غرناطة التي استقل بها عن الموحدين - بعد تراجع نفوذهم بالأندلس - المتوكل محمد بن يوسف بن هود، وعلى علاقاته الخارجية. فقد أشار إلى الرسالة التي وجهها ابن هود إلى عماله، يأمرهم فيها بتطبيق العدل والمساواة وعدم سفك الدماء في الأحكام. ويفهم منه أن عكس ما أمر به هو الذي كان سائدا[56]. وتؤكد هذا، أخبار علاقاته الخارجية بجيرانه المسيحيين الأقوياء، الذين ضيقوا الخناق على إمارته، وألزموه بدفع أتاوة مرتفعة مقابل السلام، فرضها على رعاياه المتذمرين[57]. وعن علاقته مع العالم الإسلامي، يذكر المخطوط أن ابن هود قد أعلن ولاءه للخلافة العباسية، فوصلته رسالة تقليد من الخليفة المنتصر[58].

3 - التاريخ الاجتماعي :

تشكل مادة التاريخ الاجتماعي أحد المحاور الأساسية التي تناولها المخطوط، يمكن إيجازها فيما يلي :

أ - الجذور الاجتماعية :

بعدما أشار إلى أبناء نوح - عليه السلام - الثلاثة : سام وحام ويافث، هم أصل البشرية عقب «الطوفان»، ذكر أن «البربر» - أي الأمازيغيين - بشمال إفريقيا هم على

(53) نفس المصدر، 113.
(54) نفس المصدر، 90، 119.
(55) نفس المصدر، 117 - 119.
(56) نفس المصدر، 148 - 149.
(57) نفس المصدر، 140.
(58) نفس المصدر، 149 - 152.

العموم من نسل أحد أبنائه[59]، وساق عن هذه الإشكالية مختلف الروايات والنظريات الإسلامية حول جذورهم الأصلية والفرعية[60]، منبها إلى إسمهم الحقيقي[61]، كما أثبت ضمن تلك الروايات انتماءهم الجغرافي إلى المشرق[62].

ب ـ الصـراع الاجتـماعـي :

تدل بعض الإشارات الواردة في المجموع على وجود صراع اجتماعي في وقت مبكر، رافق تاريخ الأمازيغيين في المشرق والمغرب. منها أن نوح ميز ابنه سام على ابنه حام ـ جد الأمازيغيين ـ فمنحه «أحسن أرض» عندما قسم الأرض على أبنائه الثلاثة بعد الطوفان، وأوصى لسام من بعده[63]. وأن جميع الأنبياء، عربا وعجما، من ذرية سام[64]. ومنها أيضا أن سام قد تغلب على حام مما دفع هذا الأخير إلى مغادرة المشرق نحو المغرب[65]. حيث قامت هناك بين القبائل الأمازيغية والعربية ـ فيما بعد طبعا ـ «حروب مذكورة في التواريخ»[66]. وتبرز إشارات أخرى من جهة، ما كانت صدور الأمازيغيين تضيق به من إحساس مرير بالاحتقار من طرف «جهلة الناس» من العرب، لهم ولبلادهم المغرب[67] وما ولده ذاك الإحساس في نفوسهم من كراهية لهؤلاء من جهة أخرى[68] كما أن يليان الرومي حاكم طنجة قد وصفهم للفاتح عقبة ابن نافع بأنهم ـ أي الأمازيغيين ـ جهلة وهمج[69]، وسمح بعض الخلفاء العرب لأدبائهم بهجومهم والحط من قدر بلادهم المغرب، في حضرة مجالسهم، وبحضور المغاربة[70]، فضلا عن أن الأمازيغيين في المغرب والأندلس كانوا ـ كما ورد في المخطوط ـ

---

(59) نفس المصدر، 4 ـ 9، 14.

(60) نفس المصدر، 8، 13، 18، 19، 20، 23، 94، 98، 99، 100، 110، 111، 152، 153.

(61) نفس المصدر، 17، 24، 35، 94، 99، 104، 111.

(62) نفس المصدر، 9، 13، 14، 15، 16، 20، 22، 108، 110، 111.

(63) نفس المصدر، 6، 7.

(64) نفس المصدر، 12.

(65) نفس المصدر، 110.

(66) نفس المصدر، 111.

(67) نفس المصدر، 58.

(68) نفس المصدر، 105.

(69) نفس المصدر، 110.

(70) نفس المصدر، 58، 63.

موضوعا لمختلف النعوت الساقطة، بقلم غير قليل من الأدباء والمؤرخين والشعراء الأندلسيين[71].

ج- ردود فعل الأمازيغيين :

غطى هذا الموضوع حيزا كبيرا من مادة المجموع، تضمنت، من ناحية أولى، افتخار الأمازيغيين بالفضائل التي امتازوا بها عن العرب مدعمة بشواهد من القرآن والحديث والشعر ومأثور السلف الصالح[72]، كالشجاعة العسكرية، وقيادة الفتوحات[73]، وتأسيس الدول العظيمة قبل وبعد الإسلام[74]، واعتناقهم للإسلام في وقت مبكر بين يدي النبي محمد ﷺ الذي سلمهم كتابا إلى أهل المغرب الأقصى[75]، احتفظوا به، ثم على يدي خليفتيه : عمر وعثمان، قبل انطلاق الفتح الإسلامي[76]. وإيوائهم لذرية النبي ونصرتها وحمايتها وإعزاز دينها، بعدما خذلهم العرب بالمشرق[77]. بالإضافة إلى ما امتازوا به من سخاء وكرم ونجدة[78]. كما عكست تلك المادة، من ناحية ثانية، إنتاج أدب الافتخار بأنساب عدد من أمجادهم[79]، وترجمة الكثير من الأعلام الأمازيغية المعروفة والمجهولة في مختلف الميادين. معظمهم ينتمي، من الناحية الزمنية، إلى فترة السيادة الأمازيغية ومن الناحية الجغرافية، إلى المغرب الأقصى والأندلس، وهم من فئات شتى : فيهم الفقهاء والعلماء والقضاة والمؤرخون والمؤلفون والسياسيون ورؤساء الجيش والصوفية وغيرهم[80]. ونبه المجموع ذهن القارئ إلى أن ما أغفله من أعلام الأمازيغيين الأمجاد أكثر مما ذكره. وأورد رواية تتهم المغاربة في شخص أهل فاس بإهمالهم لتدوين «محاسن علمائهم ومفاخرهم»[81].

(71) نفس المصدر، 63، 75، 79، 82، 83.
(82) نفس المصدر، 104، 107.
(73) نفس المصدر، 45، 105، 106، 154.
(74) نفس المصدر، 58، 106، 122، 119.
(75) نفس المصدر، 32، 34، 35.
(76) انظر أعلاه حاشية 54.
(77) نفس المصدر، 35، 105، 106.
(78) نفس المصدر، 80.
(79) نفس المصدر، 15، 18، 20، 21، 22، 23، 24، 26، 27، 28، 78، 82، 83، 84، 86، 91، 94، 95، 96، 97، 99، 107، 108، 110، 112، 113، 117.
(80) نفس المصدر، 85 - 86، 92 - 101.
(81) نفس المصدر، 110.

د ـ السلوك الاجتماعي :

قدم مخطوطنا خمس عشرة حالة للسلوكات العدوانية اليومية المعروفة عند البشر، وما يقابلها عند نوع معين من الحيوان، والأسلوب الذي يجب اتباعه في تعاملنا معه لتجاوز إذايته. وأرفق معظم الحالات بأمثلة أدبية. فشبه سيرة النصاب المحتال على الناس بسلوك الذئاب، والحقود الذي لا ينسى بالجمل، والمنافق باليربوع، والنمام بالضربان، والنافر من مجالسة العلماء بالخنفوس، وهكذا[82].

4 ـ تاريخ الفكر الأدبي والديني :

عرض المجموع مادة أدبية غنية، تنم عن الجهد الكبير المبذول في انتقائها من المصادر، لكن إذا اعتبرنا فقط الجانب الخاص منها بمساهمة الأمازيغيين، فإن الملاحظ أنها تشكل، من جهة، جزءا ـ مكتوبا بالعربية ـ من الركام الثقافي المغربي بأقلام مبدعين أمازيغيين، وتلقي بعض الضوء، من جهة أخرى، على تطور العقيدة الدينية للأمازيغيين قبل وبعد الإسلام.

أ ـ الأدب :

يمكن رصد خصائص الفكر الأدبي الأمازيغي من خلال المضمون المعرفي الإجمالي، الذي قدمه المخطوط، والذي نراه هنا لا يخرج عن السياق الثقافي الإسلامي العربي خلال العصر الوسيط. فهو يعالج مواد أدبية شتى، من أخبار[83] وأنساب[84] وتراجم[85] ورسائل[86] وشعر[87] وغيرها. ويعرض ضمن سلسلة التراجم الأمازيغية عددا من الأعلام الذين ألفوا في ميادين الفقه والشريعة[88] والتفسير[89] والتصوف[90] والنحو[91]. وتتسم عقلية مؤلفي هذا المجموع في عرض مواده بالمزج

(82) نفس المصدر، 54 ـ 56.
(83) نفس المصدر، 26، 85، 86، 93، 94، 117.
(84) نفس المصدر، 84، 86.
(85) انظر على سبيل المثال ترجمة أبي موسى عيسى بن تلالين الجزولي، في نفس المصدر، 93.
(86) نفس المصدر، 92.
(87) نفس المصدر، 94.
(88) نفس المصدر، 92.
(89) نفس المصدر، 95.
(90) نفس المصدر، 34، 96، 101.
(91) نفس المصدر، 84، 85، 86، 93، 94، 117.

أحيانا ما بين الحقائق والأساطير والعجائب والكرامات[92]. ويبدو أن هذا الأسلوب كان من الأمور المعتادة في ذلك العصر، كما أن طريقة تكوين المثقف المغربي، كما تبدو من تراجم الأمازيغيين المذكورين في المخطوط، لا تختلف عن النموذج العام الذي كان سائدا آنذاك في المجتمع الإسلامي. وهذا لا ينفي ما للفكر الأمازيغي، من خلال مادته المطروحة في مخطوطنا أيضا من خصوصيات. فهو من حيث الشكل يعكس نموذجا للتأليف الأدبي الغير الرسمي الذي نجده في العصر المريني. ومن حيث المضمون، يدافع على قيم الهوية الأمازيغية المغربية في إطار المجتمع الإسلامي بكل وسائل التعبير المتاحة، لإبراز بعدها الحضاري، وإبطال الأطروحات التي تنفيها، باستعمال معطيات الدين والتاريخ والتراجم والأنساب وغيرها.

– النثر : يشمل النثر بعض نصوص الروايات المنسوبة إلى مصادر أمازيغية، وعدة مؤلفات ورسائل. نشير، على سبيل المثال لا الحصر، إلى روايتين : واحدة لهانئ ابن يكون الضريسي، يتناول فيها المصامدة وفرقهم وتوزيعهم الجغرافي[93]، وأخرى لابن حمادة حول دخول المسيحية إلى المغرب الأقصى، ووفود عبد الله بن الزبير على الخليفة عثمان بن عفان بخبر فتح إفريقية[94]. ونذكر من المؤلفات في مجال التاريخ والأنساب الكتب الآتية : «المقتبس من أخبار المغرب والأندلس» لأبي عبد الله محمد ابن حمادوه البرنسي[95] (ق. 12/6). «النبذ المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة» لأبي الحسن بن حمادوه الصنهاجي[96] (ق. 13/7). «الديباجة في أخبار صنهاجة»[97]. «المن بالإمامة» لابن صاحب الصلاة[98] (ق. 12/6). «نظم الجمان» لابن القطان[99] (ق. 13/7). «أنساب البربر وملوكهم» لأبي عبد الله محمد بن أبي المجد المغيلي[100] (ق. 11/5). وفي الصوفية : «كتاب التشوف» لأبي يعقوب التادلي[101] (ق. 13/7).

(92) راجع على سبيل المثال، في نفس المصدر، الأوراق : 6، 7، 17، 24، 35، 43، 47، 48، 69، 77، 111، 153.

(93) نفس المصدر، 24 - 25.

(94) نفس المصدر، 29، 40.

(95) نفس المصدر، 83، 84، 93، 113، 114.

(96) نفس المصدر، 86، 100، 104.

(97) نفس المصدر، 86.

(98) نفس المصدر، 117.

(99) نفس المصدر، 25، 94.

(100) نفس المصدر، 14، 20، 21، 22، 23، 24، 28، 32، 84، 87، 90، 99، 108، 110، 111.

(101) نفس المصدر، 34، 96، 97، 99.

«تلقين المريدين» لأبي عيسى الدكالي[102] وفي التفسير : كتاب «الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ» لأبي علي الحسن بن علي بن حسون الماجري الكفيف[103]. وفي اللغة : كتاب «الكراسة في النحو» لأبي موسى عيسى بن تلالين الجزولي[104]. وفي الشعر : «كتابة الحماسة» لعبد الله الجراوي[105]. وفي الفقه : كتاب «الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني[106]. ونسوق من الرسائل جوابا طويلا للكاتب الأخير على سائل من المغرب الأقصى، يطلب فتوى حول «سفك الدماء بين المسلمين»[107]، ورسالة رسمية غير تامة من أمير المسلمين علي إلى الومغاريين، يلتمس منهم الدعاء له[108]. ويجد الباحث هنا صنفا آخر من النثر، عبارة عن خطابات الأسئلة والأجوبة التي دارت بين أهل العلم، مثل قطعة من رسالة لعبيد الله بن عبد الحليم إلى الفقيه المؤرخ محمد بن مسعود الشريف، سأله عن أنساب «البربر»[109]. وقطعة أخرى من جواب عن سؤال لأبي عمر بن ميمون بن خطاب[110]. فضلا عن الرسائل التي حملها أبو بكر ابن العربي من المشرق إلى يوسف بن تاشفين بالمغرب، وضمنها كتابه «شواهد الجلة».

– النظم : أما ما يوجد من النظم في مخطوطنا فهو يختلف من ناحية الطول ـ بين القصيدة[111] والقطع القصيرة[112]، وأبيات يتيمة[113] ـ ومن ناحية الموضوع. وما يهمنا هنا أكثر، ليس ما كتبه الأندلسيون والمشارقة بقدر ما نظمه المغاربة، مع العلم أن ما يوجد بالمخطوط من شعر أندلسي ومشرقي، وهو الغالب[114]، له علاقة بما أبدعه المغاربة من شعر. وهو يتميز من ناحية الموضوع، إما بالرد على هجاء ضدهم، وإما

(102) نفس المصدر، 94، 96.
(103) نفس المصدر، 95، 96.
(104) نفس المصدر، 93.
(105) نفس المصدر، 94.
(106) نفس المصدر، 92.
(107) نفس المصدر، 140 - 141.
(108) نفس المصدر، 99.
(109) نفس المصدر، 20.
(110) نفس المصدر، 94 - 95.
(111) نفس المصدر، 101 - 104.
(112) نفس المصدر، 63، 69، 70، 71، 76، 77، 100، 106، 107، 112، 155.
(113) نفس المصدر، 91، 99، 104، 106، 111، 119.
(114) نفس المصدر، 63، 71 - 76، 100، 104، 106، 107، 112، 155.

للاستشهاد والفخر والتصوف[115]. فالبوصيري ـ على اعتبار أنه مغربي الأصل ـ أنشأ قصيدة طويلة في الصوفيين المغاربة[116]. وإبراهيم بن إدريس الحسني هجا الحاجب الأندلسي ابن أبي عامر في عدة أبيات[117]. والشاعر أبو بكر ابن حماد التاهرتي، افتخر بتفوقه على خصمه العربي في مناظرة شعر خارج بلدة تاهرت[118]. ويشير المخطوط إلى أن المغرب الأقصى كان مقرا لمراكز ثقافية كبرى، احتضنت عددا لا يحصى من المثقفين الأمازيغيين[119].

– الأسلوب : لقد دون المجموع باللسان العربي الفصيح. وينقسم أسلوب كتابته بصفة عامة إلى نوعين : أسلوب النثر المرسل، وهو بسيط يهتم صاحبه بالتعبير المباشر عن المعاني دون تكليف. وكثيرا ما تتخلله تركيبات لغوية ركيكة وجمل معتوهة، راجعة إلى جهل الناسخ أو سهوه، ولربما كان ذلك من أثر غلبة الأمازيغية على لسان بعض المصنفين. وأسلوب آخر، استعمل خصوصا في الرسائل، يعتني بالشكل أكثر من المعنى، وباصطناع ألفاظه وعباراته، فجاء مغرقا في استخدام السجع والجناس والإطناب. كما ورد كثير من الاختلال في الشعر.

ب ـ الديـــــن :

تناول مخطوطنا أيضا نقطة هامة تتعلق بالتطور التاريخي للعقيدة الأمازيغية في شمال إفريقيا. فالمعلومات الدينية التي جمعها على قلتها، تفيد بأن الأمازيغيين، بعد استقرارهم في المنطقة المذكورة، قد عرفوا، تباعا، جميع الديانات السماوية التي نراها حاليا ـ دون تحديد وقت ظهورها ـ ومارسوا أيضا عبادة مظاهر الطبيعة[120]. فبعدما رفض سكان «قرطاجة» بإفريقية ديانة النبي صالح ـ عليه السلام ـ[121]، عرف المغرب الأوسط والأقصى اليهودية[122]. أما المسيحية فقد دخلت بلاد الأمازيغيين

(115) نفس المصدر، 69 ـ 70، 101 ـ 104.
(116) نفس المصدر، 101 ـ 104.
(117) نفس المصدر، 69 ـ 70.
(118) نفس المصدر، 101.
(119) نفس المصدر، 100.
(120) نفس المصدر، 32، 111.
(121) نفس المصدر، 32، 94.
(122) نفس المصدر، 18.

ـ حسب المخطوط ـ على يد «الحواريين». ويبدو أن الأمازيغيين قد أقبلوا على المسيحية بدليل انتشار «الحواريين» في بلادهم من إفريقية إلى المغرب الأقصى، واستمرار وجود الكنائس إلى أن جاء الفاتحون العرب المسلون[123].

وفي الأخير حل الإسلام محل المسيحية عبر مرحلتين : اعتنق الأمازيغيون الإسلام في المرحلة الأولى بإرادتهم، حيث زارت وفودهم المختلفة بالتوالي، كما سبقت الإشارة، النبي محمد ﷺ ثم خليفتيه فيما بعد : عمر وعثمان[124]. وفي مرحلة ثانية، انتشر خلالها الإسلام بين الأمازيغيين بكيفية شاملة، عقب الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا[125]. وكما حصل في المشرق الإسلامي، ارتدت بعض الجماعات الأمازيغية عن الإسلام الصحيح في غربه، كبرغواطة[126]، بمبادرة عدد من المتنبئين الأمازيغيين الذين حرفوا الدين، مثل «عاصم» في إفريقية و«صالح» و«حاميم» في المغرب الأقصى[127]. ولابد هنا من ملاحظة أن روح الإسلام قد هيمنت على خطاب المجموع، وتتجلى في ذكر الآيات القرآنية والأحاديث، وفي إلقاء نظرة عامة على موضوع «النوع الرابع والأربعين من علوم الحديث»[128]. كما وردت تفاصيل عن مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام بمكة، وعن طريقة معرفة قبلة المساجد بالنجوم ليلا وبالشمس نهارا[129].

ولعل هذه المساهمة الخاصة بدراسة مضامين هذا المجموع المخطوط تساعد عمل المهتمين به من الباحثين في الذاكرة الوسيطية للغرب الإسلامي على اختلاف اختصاصاتهم، وتدلل سبيل المستعملين لمواده. وهو عمل متواضع نرجو أن يكون حافزا لغيرنا من المنشغلين بالتراث المخطوط كي يضعوا أعمالهم المماثلة بين يدي المهتمين. كما ندعو المسؤولين على دور المحفوظات المخطوطة في بلادنا إلى التفكير في

(123) نفس المصدر، 29، 31، 32.

(124) نفس المصدر، 32، 34، 35، 36، 37، 104.

(125) نفس المصدر، 26، 45، 55.

(126) نفس المصدر، 45.

(127) نفس المصدر، 101.

(128) راجع في نفس المصدر، على سبيل المثال، 3، 6، 19، 34، 46، 56، 57، 105 ـ 112، 114، 115، 116، 119، 129، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150.

(129) أنظر أعلاه حاشية رقم 28.

مشروع إعداد فهارس مصنفة ومفصلة لمضامين التراث المخطوط وبرمجتها في الحاسوب، تكمل الفهارس المرجعية المنشورة، لما في ذلك من أهمية بالغة في تيسير وتسريع عملية دخول الباحثين الشباب عالم المخطوط، والرفع من وتيرة إقبال الباحثين المختصين على استهلاكه، وبالتالي جعل تناول المعرفة المصدرية المخطوطة - كغيرها - مجالا مشاعا، ميسرا، ومتاحا للجميع.